سعيد بن العاص

بطل الفتوح وكاتب المصحف

تأليف

محمد الصباغ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المكتب الاسلامي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَعِيدُ بْنُ العَاصِ

بطل الفتوح وكاتب المصحف

تأليف
محمد الصباغ

المكتب الإسلامي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإهـــداء

إلى أولادي الأحبة الأعزاء : لطفي وأنس ومحمود وإلى أولاد هذا الجيل من المسلمين أقدم لهم دراسة هذه الشخصية العظيمة لتكون لهم نبراساً رائداً ينير معالم طريق الحق والهـدى والبطولة والمجـد .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد فهذه رسالة موجزة في حياة علم من أعلام العهد الأول من العهود الزاهرة ، كنت قد نشرت أصلها منذ بضع سنوات ، ورأيت أن أخرجها الآن في رسالة ، رغبةً في أن تكون سيرة هذا البطل الفذّ معروفة معلومة حتى تغدو قدوة للراغبين في الخير .

أسأل الله أن ينفع بها وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

بيروت في ٢ رجب ١٣٩١ هـ
٢٣ آب ١٩٧١ م

محمد بن لطفي الصباغ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توطئـــة

سعيد بن العاص الذي تتعرض هذه الرسالة الى دراسة حياته بإيجاز صحابي جليل ، ورجل من رجالات بني أمية الذين تعرضوا لحملة ظالمة على مرّ العصور . وأودّ في هذه التوطئة أن أطرح وجهة نظر أخرى انتهيت إليها بعد دراسة هادئة ، بعيدة عن موجات العاطفةالجيّاشة ، بريئة من دوافع الغرض والأَثَرة .

وكنت متردداً في كتابة هذه السطور خشـــية أن أشغل الناس بما لا أستحسن لهم أن يشتغلوا به ، لولا أنني رأيتُ أنّ الحكم المتجنيّ على نفر من السلف الصالح أضحى من المسلمات لدى عدد من الشباب المسلم الطيب في هذا العصر ، فرأيتُ أنّ هنا من الواجب أن أعرض رأياً في هذا الموضوع أرجو مخلصاً أن يكون بعيداً عن الهوى والتعصّب ، مستهدفاً من وراء ذلك أن يوضع الحق في نصابه .

وإنّ هذا يقودني إلى أن أقرر حقيقتين لا بُدّ من تقريرهما في بدء هذه الدراسة وهما :

١ ــ إن وجهات النظر المختلفة في هذا الموضوع لا يجـــوز

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن تكون سبباً للفرقة والخلاف . وعلينا أن نأخذ من الماضي عبرة : ذلك أن الذي لا ينقضي عجبي منه هو ذاك الشقاق القديم الذي وقع بين فئتين من أجدادنا المسلمين في فجر الاسلام، فكان من نتائجه أن انشطر المسلمون شطرين دينيين بسبب تعصب كل منهما إلى التزام وجهة نظر سياسية لحدث قديم مضى وانقضى ، وبين أتباعهما اليوم ما بين أصحاب ملتين مختلفتين[1]

وأرى أن من الواجب أن يتخلّص الشباب الواعي من كل عُقَد هذا الخلاف اليوم ، وينبذوا الخوض فيه ، ويلتزموا هدي السماء في ذلك : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تُسألون عما كانوا يعملون)[2] وعليهم أن يعودوا إلى الأصول الاسلامية السليمة يُحكّمونها في كل القضايا والأمور .

وأنا ــ على الرغم من تعرضي لهذا الموضوع ــ لا أرتضي أن أجعل وجهة نظري هذه سبباً للخلاف مع أي أخ كريم يخالفني في الرأي .

٢ ــ إن تاريخنا لم يكتب على الوجه الصحيح السليم حتى

---

(١) الحق أنه على مرور الأيام اكتسبت الشيعة بعض الآراء والعقائد التي لا تقبل من وجهة النظر الاسلامية الصرفة . وغلت بعض فرقها غلواً يخرج بها عن الحدود الاسلامية المقبولة .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٤١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآن ، وأعيد ذلك إلى أسباب أربعة هامة وهي :

أ ــ صعوبة العمل نفسه .

ب ــ شيوع التساهل في رواية التاريخ .

ج ــ تأثر المؤلفين بالوضع السياسي القائم وبميول معينة .

د ــ نهج التأليف في العصور الأولى .

ولنتحدث عن كل سبب على حدة :

أ ــ صعوبة العمل نفسه :

إن كتابة التاريخ عمل صعب ، ومهمة شاقة ، ويكاد المرء ييأس من إمكانية تحقيقها على الوجه الأفضل ، ولنأخذ مثلاً على ذلك عصرنا هذا الذي توافر فيه من وسائل الاعلام ما لم يكن موجوداً ، فالبرق والبريد والهاتف والأقمار الصناعية والتلفزيون والاذاعة ، ووكالات الأنباء ودور الصحافة ومؤسسات النشر كل هذا وأمثاله ييسر لمبتغي الخبر أن يقف عليه ، ومع ذلك فاننا نرى ونعلم علم اليقين أن كثيراً مما يقال غير ما يقرر وما يقرر غير ما ينفذ ، وإن كثيراً من ساسة هذا العصر يظهرون أمام شعوبهم على غير حقيقتهم .. مما يجعل نفراً من الواعين يشكون في كثير من الأنباء والأخبار التي تذاع ...

إذا كان ذلك كذلك ووسائل التحقيق والأخبار على ما هي عليه الآن ، فما قولنا بالتحقيق في أحداث الماضي الذي حالت بيننا وبينه القرون والأعوام ، وخلا من كل ما تحلى به عصرنا من

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أدوات التسجيل والتصوير والأخبار والإعلام .

ب ــ شيوع التساهل في رواية التاريخ :

ومن الأسباب التي جعلت كتابة تاريخنا صعبة أنه قد شاعت بين العلماء كلمة تتضمن اتجاه التساهل في رواية السيرة ، وعدم التشدد في قبول أخبارها ، فقد قالوا : إنهم يتساهلون في المغازي والتفسير[1] .

وإذا كان ذلك في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم فانه في سرد حوادث التاريخ أجلى وأوضح . ولــو أن علمــاء التاريخ أخذوا أنفسهم في كتابته بما يأخذ علماء الحديث أنفسهم به لتبدل وجه القضية، ولكان تاريخنا مكتوباً بأسلوب يدعو إلى الطمأنينة.

ج ــ تأثر المؤلفين بالوضع السياسي القائم وبميول معينة:

ومن هذه الأسباب أيضاً أن مــدونات التاريــخ الرئيسية كتبت في زمن الدولة العباسية التي كانت تقوم على أساس الحقد على الأمويين[2] .

وان كثيراً من كتاب التاريخ كانوا راغبين في مسايرة الحكام أو مكرهين عليها ، ولم يكونوا قادرين على مخالفتهم ومن أجل

---

(١) انظر آخر « المقاصد الحسنة » و « الأسرار المرفوعة » ص ٣٩٩ ــ ٤٠٠ والاتقان ١٧٩/٢

(٢) تلمس آثار هذا الحق في الأخبار التي أوردتها كتب التاريخ في أحداث الانقلاب العباسي وسقوط الدولة الأموية في سنة ١٣٢ هـ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك كانوا يجورون على السابقين ، بل إن كثيراً منهم من ذوي الأهواء والميول المغرضة .

د ــ نهج التأليف في العصور الأولى :

ومن هذه الأسباب نهج التأليف في الماضي ، إذ كان هــذا النهج قائماً على أساس أن يجمع المؤلف كل ما قيــل وما ورد في موضوع تأليفه والناظر في كثير من كتب التاريــخ يجــد الخبر وضده .

إذا عرفنا ذلك أدركنا أي تزوير تعرض له تاريخنا .

ومن أجل هذا فان الدعوة لاستنفار الطاقات لإعادة كتابة هذا التاريخ دعوة مُحقّة ، ذلك لأنه لا تستطيع أمة أن تنسلخ من تاريخها ولا أن تستغني عن ماضيها إذا أرادت الحياة أو تطلعت إلى النهضة والتقدم .

هذان هما الأمران اللذان أحببت أن أقررهما قبل أن أطرح وجهة النظر الأخرى ، فأقول وبالله التوفيق :

إن الهجوم على بني أمية عامةً أمر يناقض المحاكمة السليمة ووقائع الأحداث .

ليس من الموضوعية في شيء أن نعم أفراد مدينة أو قبيلة بحكم صارم ينتظرهم جميعاً ، فالخير موزع بين الناس ، كما أن الشر موزع بينهم لم يستأثر بواحد منها طائفة ولذا فلا يقبل أن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يكون مجرد الانتساب إلى أب أو جد أو قبيلة سبب تزكية وتفضيل .

ولقد قرر الإسلام أن انتساب ولدٍ إلى نبي مرسل وانحداره من صلبه لا يفيد صاحبه شيئاً إن لم يكن هو متحلياً بما يرفعه ويقدمه من فضائل .

وما أروع قصة نوح التي ساقها القرآن مبيّنا أن ولده لم يُفد من نسبه شيئاً .. حتى إن عاطفة الأبوة عندما تحركت في نفس نوح الوالد ردّه الوحي إلى الحق الذي جاءت الشرائع لإقراره :

(ونادى نوحٌ ربه فقال : رب إنّ ابني من أهلي وإن وعدك الحقّ وأنت أحكم الحاكمين . قال : يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين)[1]

وجاء في الحديث الصحيح : « من بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه »[2] إن النفس الصغيرة هي التي تمتلىء بالعصبية للقبيلة أو البلدة ، أما النفس المؤمنة فهي التي تستمسك بالمثل وتعيش لها وتموت من أجلها ، وتطأ كل ما سواها بالأقدام .

هذا أمرٌ واضحٌ يُعَدُّ من البديهيات الاسلامية الأولى

---

(١) سور هود الآيتان : ٤٥ و ٤٦

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غير أن دواعي الخير قدتتوافر في فئة من الناس ، وعوامل الإصلاح قد تتضافر فيها ، فتجعل نسبة الصالحين الأبـرار فيهـم مرتفعة ولكن ليس معنى هذا أن كل فرد من هذه الفئة ينبغي أن يكون من هذه النوعية المعينة لا تباين بين واحد وواحد . وإن دواعي الشر قد تكثر عند جماعة من الناس ، وعوامل الفساد قد تتجمع فيها ، فتجعل نسبة الفاسدين الأشرار فيهم كبيرة ولكـن ليس معنى هذا أن كل فرد منها محكوم عليه بالفساد لا ينجو من هذا الحكم أحـد .

إن الانسان كائـن اجتماعي معقـد ، وليس نتاجاً لآلـة ميكانيكية تكون مصنوعاتها من نوعيـة واحدة ومـن صفات واحدة . فالمشاهد أن الأخوين ينشآن في بيئة واحدة ، ويرثان من أبويهما مواريث واحدة ومع ذلـك فانهما يختلفان في المزاج والتركيب وكثير من الأمور .

هذا ما يقرره الواقع المشاهد ، وتدعمه البحـوث العلمية والحقائق التاريخية .

وعلى الرغم من هذا كله فان الحقد حمـل فئة مـن الناس تحت عوامل معينة أن تكيد لبني أمية الذين كان لهم في الإسلام حظ وافر بعد أن كانوا أرومة المجـد في الجاهلية ، وفي ظـلال دولتهم كانت فتوحات الإسلام الخالدة .

أمية التي كانت في حين من الدهر سمع الدنيا وبصرها ..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمية الميمونة النقية التي كتب الله على يديها الفتوحات بل يكاد المرء يقول : إن الفتوحات الإسلامية إنما كانت زمان حكم الراشدين والأمويين • لا أدعي لأمية ما يدعيه ناس لمن يحبون ، ففيها البرّ والفاجر ولكنها كانت مظنة للخير الذي غلب عليها كما دلت على ذلك صفحات البطولة التي سجلتها أمتنا في فجر تاريخها ومطلع أمجادها •

وبعد

فانّ من أخطر ما تتعرض له الدراسة الموضوعية آفة التوسع في الاستنتاج ، وهذا ما ينتهجه كثير من المشتغلين بالبحث والتاريخ •• إنهم يعمدون إلى استنطاق خبر راقهم والاستنتاج من رواية أعجبتهم ، قبل أن يتحققوا من صدقه وثبوتها •• ويتوسعون في ذلك حتى يصدق فيهم أنهم (يبنون على الحبة قبة) •

إن الاستنتاج يمكن أن يؤدي خدمة جليلة فيما إذا أتيح لصاحبه أن يطلع على رأيين ويقرأ صفحتين ، وثبت هذا الخبر •

أما أن يحول الزمان بينه وبين الأحداث ، ويبتلى بالاطلاع على تاريخ هذه الأحداث مكتوباً في ظل حكم ذي ميول معينة فما أظن أن يستطيع أن يتوصل بالاستنتاج إلى الحكم السليم •

اقتراح :

ولكن هناك أمران نستطيع أن نرتاح إلى الاحتكام إليهما وهما :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١ ــ الأخذ بعين الاعتبار طبيعة العصر وخصائصه العامة ، ورسم معالم الحياة الفكرية والاجتماعية والدينية لذاك العصر ، وقبول ما ينسجم معه ، ورفض ما لا يتلاءم معه .

٢ ــ الإشارات الصحيحة الواردة في مدونات السنة التي تعتمد السند والتي صنّفها أناس يتقون الله ولا يخافون فيه لومة لائم .

هذان الأمران هما اللذان يمكن أن نطمئن إلى النتيجة التي نصل إليها إن استخدمناهما أكثر من اطمئناننا لأي شيء آخر ، وهما المصباحان المنيران اللذان نستطيع بضوئهما أن نسير في أعماق ظلمات حقائق التاريخ المستورة .

وعندئذ فان الواجب علينا أن نقبل من روايات التاريخ الكثيرة ما يتفق وما ننتهي إليه من تحكيم ذينك الأمرين إننا بذلك نكون قد أخذنا من كتب التاريخ كل ما هو قريب للصواب وتركنا ما سواه .

ومن المفيد أن نقرر أن كتب التاريخ التي خلفها المتقدمون على الرغم من المآخذ عليها التي ذكرتها ، فان فيها كنوزاً ثمينة لا يجوز أن يستهان بها ولا أن تضيع .

ولن أستطيع في هذه التوطئة السريعة لهذه الرسالة الموجزة أن أطبق هذا الاقتراح فأضع معالم المجتمع في عصر صدر الاسلام والسمات العامة التي تميز ذاك العصر كما لا أستطيع أن أجمع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأخبار الواردة في بطون كتب السنة والتي نستطيع أن نعتمد عليها اعتماداً كلياً وأرجو أن يقوم بذلك دارس مخلص إن اقتنع بصحة هذا الاقتراح ووجاهته أو أن يهيىء الله لي وقتاً وهمة تتيح لي ذلك .

غير أنني قبل أن أختم هذه الكلمة أرى أن أقدم ملاحظتين:

١ ــ من أين نأخذ معالم عصر الراشدين وبني أمية ؟

٢ ــ ما مدونات السنة التي يمكن أن نجد فيها بغيتنا وكيف نفيد منها ؟

الملاحظة الأولى :

إن معالم الصورة لأوضاع المجتمع في عهد الصحابة والتابعين لا تؤخذ من شعر بعض الشعراء ولا من الروايات المتهالكة التي نقلها الاخباريون عن تلك الحقبة .. وإنه لخطأ كبير أن نعتبر ما نعثر عليه عند بعض الشعراء صورة للعصر ، كما يحلو ذلك لبعض الأدباء المغرضين .

قد يكون ما نقف عليه في شعر الشاعر صورة لذاك الشاعر، أما أن يكون ذلك صورة العصر فهذه فرية باطلة من أشنع ما انتهى إليه الدجالون .

إنني كثيراً ما أتساءل : هل شعر الجواهري والقباني وغيرهما لعصرنا ؟

وهل أخبار المغنيات الماجنات التي تملأ أعمدة الصحف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمجلات هي الصورة التي تعبر عن مجتمعنا وواقعنا وواقع الناس جميعاً في هذا العصر ؟

والجواب على هذين السؤالين بكل حزم وقوة هو أن : لا .

فمن أين إذن نأخذ معالم الصورة ؟

إن الصورة نستطيع أن نتبينها من مصدرين هما :

الأخبار والروايات الثابتة في كتب السنة

النتائج الضخمة التي أصبحت حقيقة ملموسة

ـ ومن أهم ما تدلنا عليه هذه الأخبار أن الإسلام كان حدثاً عظيماً غير الشخصية العربية تغييراً جذريا حتى كأنها قد صنعت من جديد .

ـ ومن أهم ما اتفقنا عليه هذه النتائج الضخمة هذه الفتوحات وتلك الحضارة وما تقتضيان من جدية وشجاعة ومواهب وطاقات .

الملاحظة الثانية :

مدونات السنة كثيرة ، وقد طبع معظمها ، وطريقة الاستفادة منها تحتاج إلى شيء من الخبرة والاختصاص .

ومن أشهر هذه المدونات مسند أحمد والكتب الستة[1]

---

(١) وهي صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن النسائي وجامع الترمذي وسنن ابن ماجة .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وموطأ مالك وسنن الدارمي وصحيح ابن حبان ، وصحيح ابن خزيمة • ومن المصادر المفيدة في هذا الموضوع ، كتب السيرة ، وكتب الرجال ، وكتب التاريخ ، التي تأتي بالأخبار مسندة إن كان مؤلفوها موثوقين •

ولا بد من اعتماد الأخبار التي تصح على طريقة المحدثين • ومن الصعوبة بمكان أن يلم رجل مؤرخ بكتب السنة أو بما ذكرت من هذه الكتب ليجمع لنا من هذا التراث الضخم أخباراً نطمئن لصحتها ويحل هذا الإشكال أمران :

أ ــ أن تكون هذه الكتب محققة مفهرسة ، وهذا أمل نرجو أن يتحقق •

ب ــ أن ينهض بمهمة التثبت والجمع لأخبار كل عصر فئة من الباحثين يكون التعاون بينهم قائماً على وجه يخدم الغرض المطلوب •

وهذان الحلان ليس من السهولة أن يتما بسرعة وإتقان ، ولكن الصبر والاستمرار سينتهي بالغيورين إلى نتيجة مهما تكن قليلة فهي خير من التخبط والضرب في التيه •

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سعيد بن العاص

١ ــ علم من أعلام الإسلام ، وشاب عظيم من شباب الصحابة ، ورجل المروءة الصادقة ، والشجاعة الخارقة ، والإباء الوافر ، والسخاء الكريم .

وما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجالا، آمنوا بالدعوة فانشرحت بها صدورهم ، واستنارت بها بصائرهم، وقويت بروحها عزائمهم وسواعدهم ، فانطلقوا في أرض الله يدكون عروش الفساد عرشاً عرشاً ، ويقضون على المظالم ويردون على الانسان كرامته التي سلبتها منه طواغيت البشر .

كان أمر هؤلاء الفتية عجباً من العجب ، ترى فيهم الصغير الحدث ، لكنه ليس كالصغار الأحداث ، لأن دعوة الله قد صنعته صنعاً جديداً وأشعرته أنه بهذه الدعوة أكبر من كل الناس الكافرين .

كان لسعيد عند موت النبي صلى الله عليه وسلم تسع سنين ومع ذلك فقد كان يعي ما يسمع أتم الوعي ، وروى بعض الأحاديث أخرج له مسلم في الصحيح وأبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد[1] ، وعدّ من الصحابة . وأود أن

(١) تقريب التهذيب والخلاصة للخزرجي .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعرض حياة هذا الفتى نموذجاً لهذه الفئة المختارة ، لنرى فيها تأثير الإسلام في صنع الرجال .

٢ ــ نشأ سعيد في بيت عز ورفعة ، ينتسب إلى أمية ، وأمية في قريش معروفة المكانة ، سامية المنزلة ، كان لها المجد في الجاهلية ، وشاركت في حمل أعباء الدعوة في الاسلام ، وكان منها عثمان ذو النورين الذي ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجاً لابنته وقدم من التضحيات من أجل دعوته الشيء الكثير ، وما زال يجود بماله حتى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض ، ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » .

وانتشر الاسلام في ظل دولة أمية في أصقاع الأرض شرقاً وغرباً حتى شمل المد الاسلامي الدنيا المعمورة كلها .

٣ ــ وكان جده سعيد بن العاص ، ويكنى بأبي أحيحة ، رئيساً في قريش[1] يقال له : ذو التاج ، لأنه كان اذا اعتمّ لا يعتمّ أحدٌ يومئذ إعظاماً له . أما أبوه فقد كان من فرسان الجاهلية قدم إلى بدر مع الكفار وقتله عليّ بن أبي طالب ، ويقال : إن عمر بن الخطاب قال لسعيد بن العاص يوماً : مالي أراك معرضاً

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٣ .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عني كأنك تظن أني قتلت أباك ، ما أنا قتلته ، ولو قتلته ما اعتذرت من قتل مشرك ، ولكنني قتلت خالي بيدي العاص بن هشام .

فأجابه سعيد جواب المؤمن الصادق : يا أمير المؤمنين لو قتلته كنت على حق وكان على باطل[1] .

لقد أذاب الاسلام من سعيد كل عصبية ، ووضع من اعتباره كل علاقة ، ولم يبق في تلك النفس الكريمة إلا رابطة الإيمان أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم[2]

أما أمه فهي أم كلثوم بنت عبد الله بن أبي قيس بن عمرو العامرية وهكذا اجتمع لسعيد طيب الأرومة وحسن المنبت قبيلة وجدوداً وأخوالاً .

٤ ــ وبدت عليه مخايل النبوغ وأمارات التفوق ، وسمت بسعيد مواهب نادرة ، وخلال حميدة ، ورعته مثالية ذاك الجيل فوفرت له أسباب السمو والمجد .

خالطت بشاشة الإسلام قلبه من نعومة أظفاره ، فلم يتدنس بشرك ، ولم يتلوث عقله بخرافة ، بل تقلب في ظلال تعاليم الإسلام ، وشب على المعاني الإسلامية وهي مهيمنة على الحياة ، وتلقى من مدرسة النبوة الدروس ... فتخرج منها بطلاً عظيماً خالداً .

وعاش يرى بأم عينه الحياة السامية النظيفة ، وذروة العدالة

(١) طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٠ وتهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ١٣٢

(٢) البيت لنهار بن توسعة اليشكري .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشريفة ، في عهد أبي بكر وعمر .

٥ ــ ثم رشحته مواهبه وإمكاناته إلى الولاية فكان من عمال عمر على السواد[١] وكان عمر يحبه ويسترضيه ويحقق له كثيرا مما يطلب[٢] .

٦ ــ ولما عزم عثمان على كتابة المصحف وجمعه جعله في عداد اللجنة التي وكل إليها هذه المهمة الجليلة ، فكان من أبرز أعضائها لفصاحته وبلاغته .

قال ابن أبي داود في « المصاحف » :

حدثنا العباس بن الوليد ، حدثنا أبي ، حدثنا سعيد بن عبد العزيز أن عربية القرآن أقيمت على لسان سعيد بن العاص ، لأنه كان أشبههم لهجة برسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] .

٧ ــ واستنابه عثمان على الكوفة ، فذهب إليها والياً ، وكان ما يزال في أول الشباب ، ولم يلبث أن انتظم في جيوش الفتح الاسلامي الظافرة مقاتلاً باسلاً ، وفارساً شجاعاً ، وقائداً منصوراً ، وفتح طبرستان وجرجان[٤] .

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٣

(٢) طبقات ابن سعد

(٣) الخلاصة للخزرجي ، والبداية والنهاية ، والاصابة ج ٢ رقم الترجمة ٣٢٦٨ ، وانظر كتاب المصاحف لابن أبي داود ص ٢٤ تحقيق آثر جفري .

(٤) كل المصادر .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الاستاذ رفيق العظم في كتابه « أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة » ج ٤ ص ٧٢٤ :

[وأما طبرستان فقد كان فتحها على يدي سعيد بن العاص أمير الكوفة من قبل عثمان سنة ٣٠ هـ ، وذلك أن سعيداً سار من الكوفة يريد خراسان بجيش فيه جماعة من الصحابة منهم حذيفة بن اليمان ، وفيه الحسن والحسين وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم] .

ثم يتحدث الأستاذ رفيق العظم عن مراحل هذا الفتح ويذكر مآثر سعيد في البطولة والبلاء الحسن فيقول :

[وأتى جرجان فصالحه أهلها على مائتي ألف ، ثم أتى طميسة ــ وهي كلها من طبرستان ــ متاخمة جرجان وهي على ساحل بحر الخزر أي بحر قزوين فقاتله أهلها قتالاً شديداً حتى صلى صلاة الخوف ، وضرب يومئذٍ سعيد أحد المشركين على حبل عاتقه فخرج السيف من تحت مرفقه ، وحاصرهم فسألوا الأمان فأعطاهم وافتتح سهل طبرستان والرويان ودنباوند ...]

وبذلك يكون قد كتب ــ رضي الله عنه ــ بعزيمته وعزمه ، وشجاعته وحزمه ، سطور المجد لأمة الاسلام، ورفع راية التوحيد في شرقي الدنيا المعمورة يومذاك ...

٨ ــ وعندما عاد الى الكوفة حدثت مناوشات بينه وبين أهلها انتهت به الى ترك الإمارات والعودة الى المدينة ، وظل في

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المدينة مجاهداً صامتاً يحسن إلى البائسين ، ويمنح المحتاجين .

ولم يزل بالمدينة حتى وثب الناس بعثمان فحصروه ، فأقام سعيد معه في الدار يلزمه فيمن يلزمه ، لم يفارقه أبـدا ... وفي يوم من الأيام جاء سعيد إلى عثمان فقال : يا أمير المؤمنين إلى متى تمسك بأيدينا ؟ قد أكلنا أكلا ، هؤلاء القـوم ، فمنهم من قـد رمانا بالنبل ... ومنهم من قد رمانا بالحجارة ... ومنهم من هو شاهر سيفه فمرنا بأمرك .

فأبى عليه عثمان ، ولكن سعيداً خرج فقاتل قتال الأبطال ودافع عنه مدافعة الاشداء من الـرجال ، وما زال كـذلك حتى ضربه رجل يومئذ ضربة مأمومة فغشي عليه ...

وقتل عثمان رضي الله عنه ، واشتعلت نيران الفتنة الكبرى التي تجرع المسلمون غصصها دهوراً طويلة ، والتهمت بضراوتها أكبادهم ، وقامت الحروب الطاحنة بـين عليّ ومعاوية ، فاعتزل سعيد الطرفين وخرج الى مكـة ولـم يشترك في صفين ولا في الجمل . جاء في طبقات بن سعد :

[لما خرج طلحة والزبير وعائشة من مكة يريدون البصرة خرج معهـم سعيد بن العاص ومروان بن الحكـم .. والمغيرة بن شعبة ، فلما نزلوا مرّ الظهران .. قام سعيد بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فان عثمان عاش في الدنيا حميداً

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخرج منها فقيداً ، وتوفي سعيداً شهيداً ، فضاعف الله حسناته ، وحط سيئاته ، ورفع درجاته مع الـذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحـين وحسن أولئك رفيقاً ، وقـد زعمتم أيها الناس أنكم إنما تخرجون تطلبون بدم عثمان ، فان كنتم ذلك تريدون فإن قتلته على صدور هذه المطيّ وأعجازها فميلوا عليهم بأسيافكم وإلا فانصرفوا إلى منازلكم ، ولا تقتلوا في رضى المخلوقين أنفسكم ولا يغني الناس يوم القيامة شيئاً] .

فلم يرض مروان هذا الرأي ، وقبله المغيرة وتبعه ناس من هوازن ، ورجع سعيد بن العاص بمن اتبعه حتى نزل مكة ، فلم يزل بها حتى مضى الجمل وصفين .

ولا بد للمرء من أن يقف طويلاً أمام هذه الحادثـة مكبراً رجاحة عقل سعيد ، وسداد بصيرته ، وخوفه من الله ، فلقد ترك أمويته جانباً لأنه لم يجد هذه الحرب في محلها ورأى أن عقيدته لا تقرها فما بالى بما سوى ذلك .

٩ ــ وعندما استتب الأمر لمعاوية ولاّه المدينة وكان يعاقب بينه وبين مروان بن الحكم في ولايتـه ، ولقد حـاول بعضهم الإيقاع بينه وبين مروان ففوت عليه ذلك ، وكان لا يتكلم علـى مروان إلا خيراً[1] .

(١) انظر في ذلك الطبري ج ٥ ص ٢٩٣ و ص ٢٩٥ ط دار المعارف بمصر .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتوفي رضي الله عنه في المدينة وله عشر من الولد ذكوراً وإناثاً وكانت إحدى زوجاته أم البنين بنت الحكم بن أبي العاصي أخت مروان بن الحكم(١) .

١٠ ــ تلك أحداث حياته ، وكانت كما رأينا حافلة بالأمور الجسام ، والمكرمات الباقيات . أما أخلاقه فلقد تجمعت في سعيد أكثر المثل التي يسعى وراءها كثير من الناس فلا يحظون بما يريدون . ولنقدم قبل ذكر أخلاقه نبذة يسيرة عن وصفه ولقبه ونسبه :

ــ كان رحمه الله شديد السمرة نحيفاً حتى وصفه الجاحظ فقال :

[وكان أسود نحيفاً .. وقال الحطيئة :

سعيد فلا يغررك قلة لحمه تمدد عنه اللحم فهو صليب(٢)

ــ وكان يدعى ذا العصابة ، وهذا لقب لزعيم القوم الذي يتحمل مشكلاتهم ، [طلق خالد بن يزيد ابنته آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبد الملك فقال خالد فيها :

---

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٣ .
(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٥
(٣) البيان ج ٣ ص ٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كعاب أبوها ذو العصابة وابنه وعثمان ما أكفاؤها بكثير][٣]

ـ وكنيته أبو عثمان وهـو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

ـ أما أوصافه المعنوية فقد كان الرجـل مؤمناً ، مجاهداً بطلاً ، فصيحاً ، كريماً ، عاقلاً .

١١ ـ كان سعيد من أعمق الناس إيمانا يدلك على ذلـك موقفان مما مرّ معنا آنفا .

أما أولهما : فموقفه من مقتل أبيه ، ونحن نعلم مكانة الدم عند العرب .. كم قامت في الجاهلية حروب طاحنة من أجل دم سفك أراد صاحبه أن يثأر لنفسه .

ولكن الإسلام أبطل هـذه العصبية وجعل سعيداً يقـول لعمر : يا أمير المؤمنين لو قتلته كنت على حق وكان على باطل .

وثانيهما : اعتزاله الفتنة وقد مرت معنا خطبته في بيان رأيه في هذا الموضوع .

لقد حلّ الاسلام في قلب سعيد وملأه ولم يعد فيه مكـان لعاطفة أبوية ، ولا لرابطة قبلية وإن كان المجتمع الحديث العهد بالجاهلية في ذاك الحين يقوم على هاتين الدعامتين .

وهذا الامتحان عسير ، قلّ أن تجد فيه الناجين .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢ ــ وكان سعيد مجاهداً بطلاً ، أكتفي للتدليل على ذلك بالإيماء إلى أمرين أيضاً ، تحدثنا عنهما في أحداث حياته .

أول هذين الأمرين : الفتوح العظيمة التي استطاع أن يحققها وكيف كان يجوب المنطقة الشرقية كلها وينشر فيها كلمة التوحيد لا يهاب قوة ، ولا ترده عقبة .

والأمر الثاني موقفه الشجاع يوم الحصار ، فلقد ضمّ سعيد في ذاك الموقف الوفاء إلى الشجاعة ، وخاطر بحياته ، وتلقى الأذى والجراح .

وكانت شجاعته مربوطة بعقيدته ، فلا تجدها وحدها ، كما حدث لكثير من الشجعان في الزلات التي يتعرضون لها .

فاذا حمي الوطيس في الفتوح وجدته المجليّ المقدام ، وإذا تأزم الوضع ، وغلت نيران الثورة الباطلة على الإمام الصادق ألفيته هناك مقاتلاً شجاعاً لا يبالي بحياته لاحقاق الحق وإزهاق الباطل ، أما إذا كانت المعركة تشوبها الشكوك والشبهات انسحب منها وحمل غيره على الانسحاب .

وهذه شجاعة أصحاب العقيدة .

١٣ ــ وكان سعيد فصيحاً بليغاً خطيباً وبحسبه فخراً أن تكون عربية القرآن قد أقيمت على لسانه ، ويا له من وصف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رائع ذاك الذي ذكره مترجموه « كان أشبه الصحابة لهجة برسول الله » قال الجاحظ في « البيان والتبيين » :

[ومن الخطباء سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية • قيل لسعيد بن المسيب : من أبلغ الناس ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : ليس عن هذا نسألك • قال : معاوية وابنه وسعيد وابنه •

وما كان ابن الزبير دونهم ، ولكن لم يكن لكلامه طلاوة• فمن العجب أن ابن الزبير قد ملأ دفاتر العلماء كلاماً وهم لايحفظون لسعيد بن العاص وابنه من الكلام إلا مالا بال له][1]

١٤ ــ وأما عن جوده فحدث ولا حرج ، فعن ابن عمر قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت : إني نذرت أن أعطي هذه البردة لأكرم العرب • فقال : « أعطيها لهذا الغلام » وهو واقف ــ يعني سعيد بن العاص ــ [2] •

كان كثيراً ما يجمع أصحابه يوم الجمعة فيطعمهم ويكسوهم الحلل ، ويرسل إلى بيوتهم بالهدايا والتحف والبر الكثير ، وكان يصر الصرر فيضعها بين يدي المصلين من ذوي الحاجات في المسجد[3] •

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣١٤
(٢) الاصابة ج ٢ رقم الترجمة ٣٢٦٨
(٣) البداية والنهاية .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وله قصص رائعة في الكرم قلّ أن نجد لها نظيراً فمن ذلك: أن رجلا من العلماء أصابته فاقة شديدة ، وافتقر حتى لم يعد يجد شيئاً يأكله ، فقالت له امرأته : إن أميرنا هذا يوصف بكرم فلو ذكرت له حالك فلعله يسمح لك بشيء .

ولكن العلماء كانوا ذوي نفوس عفيفة أبية ، فصعب عليه الأمر ، ورآه كبيراً لايقوى عليه ويهون بجانبه الجوع والموت فقال لها : ويحك لاتحلقي وجهي .

وألحت عليه في ذلك ، وما زالت تلح حتى جاء إلى مجلس الأمير ، فلما انصرف الناس عنه مكث الرجل جالساً في مكانه ، وخانه لسانه فما عاد يتحرك ، وجف ريقه ، ولم يقو على السؤال.

أدرك الأمير ذلك من الرجل فقال لغلمانه : انصرفوا ، ثم قال : لم يبق غيري وغيرك فماذا تريد ؟

وهمّ بالكلام لكن نظراته زاغت ، والكلام الذي زوّره في نفسه تبدد ولم يستطع أن يسأل .. فظل ساكتاً ، فقام سعيد إلى المصباح فأطفأه ثم قال : رحمك الله لست ترى وجهي فاذكر حاجتك .

فقال : أصلح الله الأمير أصابتنا فاقة وحاجة فأحببت ذكرها لك فاستحييت فقال له : إذا أصبحت فالق وكيلي فلاناً .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلما أصبح الرجل لقي الوكيل ، فقال له الوكيل : إن الأمير قد أمر لك بشيء فأت بمن يحمله معك .

فقال : ما عندي من يحمله ، ثم انصرف الرجل إلى أمرأته يلومها ويعنفها قائلاً : حملتني على بذل وجهي للأمير ، فقد أمر لي بشيء يحتاج إلى من يحمله ، وما أراه أمر لي إلا بدقيق أو طعام ولو كان مالاً لما احتاج إلى من يحمله ولأعطانيه .

فقالت له زوجته : مهما أعطاك فخذ ، فإنه يقوتنا ، ونحن جياع ولم يعبأ الزوج هذه المرة برغبة زوجته وسخط عليها .. فما لبث أن جاءه الوكيل وقال : إني أخبرت الأمير أنه ليس لك أحد يحمله ، وقد أرسل بهؤلاء الثلاثة السودان يحملونه معك .

فذهب الرجل وجاء بما أمر له الأمير ، ولما وصل إلى منزله إذا على رأس كل واحد منهم عشرة آلاف درهم . فقال للغلمان ضعوا ما معكم وانصرفوا . فقالوا : إن الأمير قد أطلقنا لك فإنه ما بعث مع خادم هدية إلى أحد إلا كان الخادم الذي يحملها من جملتها[1] .

ـ وسأل أعرابي سعيد بن العاص فأمر له بخمسمائة . فقال الخادم : خمسمائة درهم أو دينار . فقال : إنما أمرتك

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بخمسمائة درهم وإذ قد جاش في نفسك أنها دنانير فادفع خمسمائة دينار .

فلما قبضها الأعرابي جلس يبكي . فقال له : مالك ؟ ألم تقبض نوالك ؟ قال : بلى والله ! ولكن أبكي على الأرض كيف تأكل مثلك[1] .

قال سفيان بن عيينة : كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يك عنده ما سأل قال : اكتب عليّ بمسألتك سجلاً الى أيام يسري[2] وقد ركبته من أجل ذلك ديون كثيرة حتى اضطر ولده عمرو أن يبيع داره الشهيرة بالقصر ليقضي ديون أبيه .

لما حضرت سعيد بن العاص الوفاة في قصره قال لابنه عمرو: إذا أنا متُّ فأعلم قومي ، فإذا واريتني فانطلق إلى معاويةفانعني له ، وانظر في ديني ، واعلم أنه سيعرض عليك قضاءه فلا تقبل واعرض عليه قصري هذا . فلما مات آذن به الناس فحملوه من قصره حتى دفن بالبقيع ، ورواحل عمرو بنسعيدمناخةاستعداداً للسفر .

فعزاه الناس على قبره ، وودعوه ، فارتحل إلى الشام ، وكان هو أول من نعى أباه لمعاوية ، فتوجع معاوية له وترحم عليه

(١) المصدر نفسه ج ٨ ص ٨٦
(٢) عيون الأخبار ١ : ٣٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم قال : هل ترك ديناً ؟ قال عمرو : نعم • قال : كم هو ؟ قال : ثلاثمائة ألف درهم • قال معاوية : هي عليّ • قال عمرو : قد ظن ذلك ، وأمرني ألا أقبله منك ، وان أعرض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكون قضاء دينه منه • قال معاوية : فاعرض عليّ • قال : قصره بالعرصة • فقبل معاوية وقال : قد أخذته بدينه • قال عمرو : هو لك على أن تحمل ثمنه إلى المدينة وتجعلها بالوافية [والدرهم الوافي أكثر من درهم ونصف ، إذ هو درهم وأربعة وداتق ، والدانق سدس الدرهم] •

قال معاوية : نعم ، فحملها له إلى المدينة •

وشرع عمرو يفرقها في غرمائه ، وكان أكثرها عطايا وعد بها عندما كان يُسأل ولا يجد ما يعطيه للسائل • وأتى في عداد الغرماء شاب صعلوك من صعاليك قريش بصك فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيد على نفسه وشهادة مولى له عليه • فاستغرب عمرو هذا الصك ، وأرسل إلى المولى فأقرأه الصك ، فلما قرأه بكى ، وقال : نعم ، هذا خطه وهذه شهادتي عليه •

فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى على أبي عشرون ألف درهم وإنما هو صعلوك من صعاليك قريش ؟

قال : أخبرك عنه ، فاسمع قصته :

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مر سعيد بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألك حاجة ؟ قال : لا ، إلاّ أني رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك .

فقال سعيد لي : ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب على نفسه هذا الدين وقال : إنك لم تصادف عندنا شيئاً فخذ هذا ، فإذا جاء شيء فأتنا .

فقال عمرو : لاجرم ، والله لا يأخذها إلا بالوافية ، ودفع إليه عشرين ألف درهم وافية[1] .

لقد كان سعيد يأبى أن يكون كرمه مقصوراً على حياته.. بل يريد أن يستمر بعد مماته ، ومن هنا أبى أن يتولى معاوية قضاء دينه ، ويؤيد هذا ما جاء في وصيته حيث قال لبنيه لما حضرته الوفاة :

« لايفقدن أصحابي غير وجهي ، وصلوهم بما كنت أصلهم به ، وأجروا عليهم ما كنت أجري عليهم ، واكفوهم مؤونة الطلب فإنّ الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائصه مخافة أن يُردّ . فوالله لرجل يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منه عليكم مما تعطونه »[2] .

(١) الأغاني ج ١
(٢) البداية والنهاية .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٢ ــ هذ غيض من فيض من أخبار هذا الرجل العظيم وما أجمل قول الفرزدق فيه :

ترى الشم الجحاجح من قريش
إذا ما الأمر في الحدثان عالا

قياماً ينظرون إلى سعيد
كأنهم يرون به هلالا

وقال معاوية : كريمة قريش سعيد بن العاص

رحمك الله أبا عثمان ، ورضي عنك ، وجزاك عن الاسلام خيراً فأنت معدن الكرم وأبو المروءة وصاحب الراية وذو العصابة.

ــ إن سعيد بن العاص صورة حية رائعة لشباب ذاك العصر ورجاله وما أحوجنا إلى مثل هذه النماذج في أيام المحنة وساعة العسرة التي تجتازها أمتنا اليوم .

علينا أن نستأنف الحياة الاسلامية الفاضلة الزاخرة بأمثال هذه الطاقات ، فهي وحدها سبيل النجاة وطريق الخلاص .
« لايصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ألا وهو الدين»

شبكة الألوكة - قسم الكتب